2024 آب العدد 14
No.14 Aug 2024
المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

الحوار مع الملائكة وحكمة اختيار الخليفة تفسير الآية (30) من سورة البقرة

د. وسام خضير ضاري
جامعة سامراء/ كلية التربية ـ قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
هاتف / 07703724294 - wisam.kh283@uosamarra.edg.iq

ملخص :

هذا البحث يُعنى بتفسير الآية (30) من سورة البقرة والتي تخبرنا عن بداية الخلق، بعد أن خلق الله عز وجل السماوات والأرض والملائكة والجن وبقية المخلوقات، اختار الله تعالى أن يكون آخر مخلوق هو الإنسان متمثلاً بخلق أبو البشرية آدم(عليه السلام) وقرر سبحانه بحكمته أن يجعله الخليفة الذي سيكون مسؤولاً عن اعمار الأرض بما شرعه الله تعالى بعد أن وهبه من القدرات لأداء هذه المهمة، وليس المقصود بالخليفة شخص آدم(عليه السلام) فقط، بل المقصود به نوع الإنسان عامة ، والآية جاءت في معرض الإخبار عن خلق نوع جديد، وليست في معرض البيان لأحوال خاصة بشخص آدم(عليه السلام)، والآية الكريمة مدار البحث تتمحور حول سؤالين الأول : لماذا أخبر الله تعالى الملائكة أنه سيعهد لبني آدم هذه المهمة وهو سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل ، والثاني : كيف عرفت الملائكة ما يكون من هذا المخلوق وكلّ هذا الفساد في الأرض .

كلمات مفتاحية : ربك ، ملائكة ، جاعل ، خليفة

Dialogue with angels and the wisdom of choosing a caliph -Interpretation of verse (30) of Surat Al-Baqarah

Dr .Wism Khadheir Dhari
Samarra University \College of Education – Department of Quran sciences and Islamic Education
Phon / 07703724294

Summary:

This research is concerned with interpreting verse (30) of Surat Al-Baqarah, which tells us about the beginning of creation. After God Almighty created the heavens and the earth, the angels, the jinn, and the rest of the creatures, God Almighty chose for the last creature to be man, represented by the creation of the father of humanity, Adam (peace be upon him), and God Almighty decided With his wisdom, he will make him the caliph who will be responsible for the reconstruction of the earth according to what God Almighty has prescribed after he endowed him with the abilities to perform this task. What is meant by the caliph is not only the person of Adam (peace be upon him), but rather the type of man in general, and the verse came in the context of informing about the creation of a new type. It is not in the context of explaining circumstances specific to the person of Adam (peace be upon him), and the noble verse that is the focus of the research revolves around two questions. The first: Why did God Almighty tell the angels that He would entrust the sons of Adam with this task when He, Glory be to Him, is not asked about what He does? And the second: How did the angels know what this would be? The creature and all this corruption on earth.

Keywords :your Lord, angels, Maker, Caliph

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي منَّ علينا بكلامه القرآن الكريم الذي لا زالت البشرية تجد فيه من الآيات والمعجزات لكلِّ متأملٍ مخلص يروم أن ينهل من هذا المعين الذي لا ينضب ، الدستور الذي أوحاه إلى نبيه محمد(صلى الله عليه وسلم)، الذي تكفل الله تعالى بحفظه في الصدور والسطور وقبل ذلك عنده في عليين، والصلاة والسلام على أشرف ولد آدم سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد .

لقد بدأت رحلة الإنسان في هذه الحياة بعد أن وقع اختيار الباري عز وجل بسابق علمه على آدم(عليه السلام) ومن بعده ذريته ليكون الخليفة في هذه الأرض بما وهبه الله تعالى من قدرات وخصائص لأداء هذه المهمة والقيام بهذا التكليف على أتم صورة ؛ لذا فإن من يتدبر القرآن الكريم يجد أنه تعالى أكرم هذا الجنس من خلقه على كثيرٍ ممن خلق ، وهذا التقدير الذي عرفته البشرية وجد بهذه النفخة من روح الله التي أصبح بها مُستخلفٌ في الأرض قال تعالى: ﴿ فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[الحجر: ٢٩] ، وسخر له ما في السماوات والارض قال تعالى: ﴿ وسخرَ لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا ﴾ [الجاثية من الآية : ١٣] ؛ ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله تعالى الأصرة الأهم التي يجتمع عليها هي آصرة العقيدة ، عقيدة (لا إله لا الله) التي جاء بها الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)؛ لذا فالمؤمن ذو نسب عريق ضارب في شعاب الزمان كله، وأنه واحد من ذلك الموكب العظيم الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم من الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم مروراً ببقية الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) حتى ختمت الرسالات وختم الأنبياء بنبينا محمد(صلى الله عليه وسلم) ، وختمت الخلافة بأمة محمد(صلى الله عليه وسلم) هذه الأمة التي قال عنها الله تعالى : آ﴿ كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران من الآية: ١١٠] .

إن القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع ، وكتاب دعوة ونظام ، ومنهج حياة ؛ لذا جاء القصص القرآني يُمثل شطراً من كتاب الدعوة ، ومن هذه القصص قصة استخلاف آدم(عليه السلام) في هذه الأرض ، وقد منحه الله تعالى مقاليدها؛ ليكون هو وذريته من بعده المتحكم فيها بعهد من الله تعالى ، بعد أن أخبرنا الله تعالى بهذا الحوار بينه وبين ملائكته وهو من الغيب الذي أطلع عليه نبيه الكريم(صلى الله عليه وسلم) بقوله: آ﴿ وإذ قالَ ربُكَ للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ [البقرة من الآية : ٣٠] ، وهكذا تأتي قصة استخلاف آدم(عليه السلام) وذريته لتكون محور هذا البحث الذي وضعته بعنوان (الحوار مع الملائكة وحكمة اختيار الخليفة) تفسير الآية (30) من سورة البقرة ، حيث تضمن البحث مبحثين :
المبحث الأول : حول الآية الكريمة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة والسياق .

المطلب الثاني : اللغة .

المطلب الثالث : أقوال المفسرين في معنى الخليفة .

المبحث الثاني : المعنى العام والأسئلة الواردة في النص الكريم .

المطلب الأول : المعنى العام .

المطلب الثاني : لماذا أخبر الله تعالى الملائكة أنه متخذٌ خليفة .

المطلب الثالث : كيف علمت الملائكة إفساد بني آدم .
ثم خاتمة ضمنتها أهم النتائج .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في نقاط ثلاث :

1 ـ إظهار الدلائل على عظمة قدرة الله تعالى؛ وذلك بخلق النوع الإنساني، وإبراز فضله عليه بمنحه جملة من القدرات، وتفضيله على سائر خلقه .

2 ـ ومن أهمية البحث أيضاً إبراز معرفة أصل التكليف والحكمة منه، واختيار النوع البشري للتكليف دون غيره .

3 ـ بيان التشريف الذي حظيَ به آدم(عليه السلام) وذريته باختيارهم للتكليف .

المبحث الأول : حول الآية الكريمة ، وفيه ثلاثة مطالب :

قال تعالى: ﴿ وإذ قال ربُكَ للملائكة إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبحُ بحمدكَ ونقدسُ لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٣٠] .

المطلب الأول : المناسبة والسياق .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقَ لكم ما في الأرضِ جميعاً ثمّ استوى إلى السماء فسواهُنّ سبعَ سماواتٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليم ﴾ [البقرة: ٢٩] ، ذكر الله عز وجل في هذه الآية أنه سبحانه خلق الأرض وما فيها وهيأها لما يُراد منها وجعل السماوات (فسواهنّ) أي: سواهنّ سبعاً، وأعطى كلَّ سماءٍ حظها من الكمال وخلق جميع ما فيها؛ وذلك تسخيراً لتمام استخلاف الإنسان في الأرض، ولما كان الخلق على هذه الكيفية ففيه دلالة على قدرة الصانع عز وجل ، وهذا راجعٌ لعلم الله تعالى لذلك ختم الآية بقوله: (وهو بكلِّ شيءٍ عليم)، ولما كان مبدأ الحياة والموت وما تبعهما من البعث والحساب مبنياً على تمام قدرته عز وجل ؛ دل ذلك بخلق الكون كله على هذا النظام البديع وختم ذلك بصفة العلم، ثمّ ذكر ابتداءً خلق هذا النوع الإنساني الذي أودع فيه شيئاً من صفة العلم تكريماً له ، ثمّ أخبر الله عز وجل ملائكته بأنه اختار هذا النوع ليكون الخليفة في الأرض، وكان هذا الحوار بين الله تعالى وملائكته وسؤالهم عن الحكمة من اختيار آدم(عليه السلام) وذريته ليكونوا مستخلفين في الأرض، ولذلك صدرت الآية بقوله تعالى : (وإذ قالَ ربُكَ للملائكة) أي: اذكر لهم أيها الرسول هذا الحوار بين الله عز وجل وملائكته الذي بيّن فيه الباري عز وجل أن النوع الإنساني هو المقصود بالذات من هذا الوجود، وكونه المكلف بعمارة الأرض (إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة)، وكذلك بيّن سبحانه لملائكته أنه لا يصلح لعمارة الأرض إلا من كان مخلوقاً منها[1] مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى﴾ [طه: ٥٥] .

إذن لقد امتن الله عز وجل على بني آدم بخلق ما في الأرض لهم ، ومن قبل أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وأمتن عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه وجعله خليفة واسكانه دار كرامته واسجاد الملائكة تعظماً لشأنه وتنبيهاً على مكانته وما حباه من العلم للقيام بمهمته التي كلف بها، ولا شك أن الإحسان للأصل إحسانٌ للفرع ، وشرف الفرع من شرف الأصل[2] .

كما هو معلوم أن لكل سورة من سور القرآن الكريم جوها الخاص، ومحور أساس تدور حوله موضوعات السورة ، وهذا المحور يمثل الخط الرابط بين آيات السورة وموضوعاتها، وحيث أن الآية الكريمة موضوع البحث من سورة البقرة المدنية، فالسورة لن تخرج عن الموضوعات التي تناولتها السور المدنية ألا وهي تنظيم حياة المسلمين سواء من حيث الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي إذ تُعد المدينة المنورة نواة الدولة الاسلامية، لذا فإن السورة عالجت حياة الجماعة المسلمة، وموقفها من أعدائها بعد أن وضحت أصناف الناس، فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ، وبرز صنف آخر هم المنافقون ، ثمّ يسير بنا السياق ليتناول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة وكيفية استقبالهم لها ، فضلاً عن موقفهم من نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثمّ بيان قدرة الجماعة المسلمة في أول

نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بدلا من بني إسرائيل الذين نقضوا عهد الله وميثاقه ، ولم يستطيعوا حمل أعباء الرسالة والأمانة كما أرادها الله عز وجل ، وبالتالي أراد الله تعالى تحذير المسلمين من العثرات التي جردت بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم [3] .

إذن فالسياق يستعرض موكب الحياة ، بل موكب الوجود كله، من خلق السماوات والأرض، ثم يتحدث عن الأرض حيث يخبرنا عز وجل أنه خلق جميع ما فيها وهيأها؛ لاستقبال الخليفة الموعود ليقيم فيها شرع الله تعالى، ثم تأتي قصة استخلاف آدم(عليه السلام) وذريته في الأرض، وإعطائه المعرفة اللازمة للقيام بأعباء الخلافة كما أرادها الله جل وعلا، وإذن فإن مشيئته تعالى تريد أن تسلم هذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتُطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق العظيم في الابداع والتكوين ، بعد أن منح هذا الكائن من القدرات والطاقات الكامنة والاستعدادات لتحقيق المشيئة الإلهية وسخر له ما في الأرض كله ؛ لإنجاز المهمة الضخمة التي كلفَ بها، وبالتالي فهي منزلة عظيمة تلك التي حباها الله تعالى للإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض، وهذا التكريم الذي شاءه له خالقه جل وعلا[4]، وهكذا يأتي هذا الحوار بين الله عز وجل وملائكته وهو يخبرهم باتخاذه آدم خليفة في الأرض ومن بعده ذريته .

المطلب الثاني : اللغة .

(إذ وإذا): حرفا توقيت ، إلا إن (إذ) للماضي و(إذا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما مكان الآخر، ((وإذ قال ربك)) يعني: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربك[5] .

إذ: (إذ وإذا): إذ لما مضى من الدهر، وإذا لما يستقبل منه، وهما مضافتان أبداً[6] . وإذ قال ربك: رد ابن عطية في تفسيره على من قال أن (إذ) زائدة بقوله : ((عن جمهور المفسرين : أن (إذ) ليست بزائدة ، وإنما هي معلقة بفعل مقدر تقديره : واذكر إذ قال)) [7] .

(إذ وإذا) : ظرفان مضافان إلى الجملة بعدهما، وإذ تأتي مع الفعل الماضي ، وإذا مع المستقبل[8] .

الملائكة : مفرده مَلَك وأصله مألك ثمّ قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل ملأك، ثمّ خُففت الهمزة بأن أُلقيت حركتها على الساكن الذي قبلها فقيل مَلَك والجمع ملائكة[9] .

والمَلَك : محركة : واحد الملائكة وهو مفعل من الألوك، وقيل أن أصله مألك ، ثمّ تركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل ملَك، فلما جمعوه ردوها فقالوا : ملائكة[10] .

والمَلَكُ : واحد الملائكة إنما هو تخفيف المَلأَك، وأجمعوا على حذف الهمزة وهو مفعل من الألوك، وقيل : أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة[11] .

الخليفة : المَلِك الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف وخلفاء[12]، والخليفة السلطان الأعظم، وَخَلَفه خلافة كان خليفته وبقي بعده[13]، واستخلف فلان من فلان: جعله مكانه ، وأخلف فلان فلاناً إذا كان خليفته، يُقال : خَلَفَه في قومه خلافة ، ومنه: ﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي ﴾ [الأعراف من الآية : ١٤٢] ، وخلفته أيضاً إذا جئت بعده ، والخليفة الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف وخلفاء[14] .

يُسفك : من الماضي سَفَك: سفكت الدم والدمع أسفكه سفكاً أي: هرقته[15] .

نُسبح : التسبيح التنزيه ، وسبحان الله معناه تنزيه الله[16] ، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء[17] .

نقدس : أي نُطهر أنفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن أطاعك ، نقدسه أي: نطهره ، والقدوس : الطاهر : وهو من أسماء الله الحسنى[18] .

المطلب الثالث : أقوال المفسرين في معنى الخليفة .

تعددت أقوال المفسرين في المراد بالخليفة في هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة ﴾، منها :((مستخلف في الأرض خليفة ، ومُصير فيها خلفاً))[19]، والخليفة أيضاً : قوماً

يخلف بعضهم بعضاً من ذرية آدم(عليه السلام)، ومهمتهم في هذه الأرض إقامة الحق فيها وعمارتها، أو يُراد به خليفة يخلفني في الحكم بين خلقي وهو آدم(عليه السلام)، ومن قام مقامه من ذريته[20] ، أو يراد به أنه خليفة الله في أرضه لأقامه أحكامه وتنفيذ أوامره، ويخلفه من يأتي بعده من ذريته[21] ، أو المراد أني مصير في الأرض خليفة ، والخليفة من يخلف غيره، والمعنى خليفة منكم أي: ذرية آدم ، ولم يقل جل وعلا خلائف أو خلفاء لأن المقصود بالخلافة آدم(عليه السلام) حيث استغنى بذكره عن ذكر من يأتي بعده من ذريته[22] .

وقال الحسن[23] : ((إنما سمى الله بني آدم خليفة ؛ لأن كل قرن منهم يخلف الذي قبله الجيل بعد الجيل))[24] ، كذلك رويَ عن ابن عباس(رضي الله عنهما): بأنه تعالى لما نفى الجن من الأرض وكانوا قد سكنوها قبل آدم ، وحين أُسكن آدم أصبح خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه، وكذلك رويَ عن ابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهما) : إنما سماه خليفة لأنه يخلف الله تعالى في الحكم بين المُكلفين من خلقه ، ويُؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفةً في الأرضِ فاحكم بين النّاس بالحق﴾ [ص من الآية : ٢٦] ، والخليفة أسمٌ يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى ، وقيل : أنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضاً[25] .

هذه أغلب أقوال المفسرين في معنى الخليفة في الآية الكريمة وبقية أقوال المفسرين لا تخرج عن هذه المعاني والخلاصة أن المراد بالخليفة معنيان الأول : بمعنى المستخلف من قبل الله تعالى لإقامة شرع الله في الأرض وفق ما أراد الله عز وجل فضلاً عن عبادته جل وعلا لأنها أصل التكليف قال تعالى: ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسّ إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] ، والثاني : كونهم أي آدم وذريته يخلف بعضهم بعضاً ، وهكذا تتجلى حكمة الباري عز وجل من خلق الإنسان وتكريمه وتشريفه بإسناد هذه المهمة الجسيمة له كونه الخليفة المكلف بعمارة الأرض ، وهذه الحكمة سابقة على خلق آدم، بل قبل أن يبرز آدم من العدم إلى الوجود كما أخبر الله جل وعلا ملائكته أنّه جاعلاً في الأرض خليفة، وهذه الآية الكريمة هي واحدة من أجوبة ثلاث التي تحدد الغاية والحكمة من خلق الإنسان والآيات هي قوله تعالى: ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسّ إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقوله تعالى:﴿ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة﴾، وقوله تعالى: ﴿ كنتم خير أُمةٍ أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهونَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران من الآية : ١١٠] ، وهذه الأخيرة تدلل على خيرية أمتنا الإسلامية على سائر الأمم، وهي الأمة المكلفة بإقامة شرع الله ووراثة الخلافة الحقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الثاني : المعنى العام والأسئلة الواردة حول النص الكريم :

المطلب الأول : المعنى العام .

قال تعالى: ﴿ وإذ قال ربُكَ للملائكة إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبحُ بحمدكَ ونقدسُ لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٣٠] ، يُطلعنا الله تعالى على هذا الحوار بينه وبين ملائكته وهذا الحوار من أنباء الغيب التي جاء بها القرآن الكريم؛ لنتعرف من خلاله على أصل وحقيقة التكليف بعد أن خفيت حكمت الاختيار حتى على ملائكة الرحمن ، وهذا التشريف لآدم وذريته لاستلام مقاليد الأرض بعد أن سخر لهم جميع الموجودات لأداء مهمة الخلافة كما أرادها الله جل وعلا .

تبدأ الآية بالعطف (وإذ قال ربك للملائكة): ربما يرد السؤال الآتي : ما الجالب لواو العطف ولم يكن في الكلام ما يُعطف عليه، والجواب هو أن الله تعالى خاطب الذين عناهم بقوله: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يُميتكم ثمّ يُحييكم ثمّ إليه تُرجعون ﴾ [البقرة: ٢٨] والتي بعدها التي أشار بها إلى خلق السماوات والأرض توبيخاً لهم وتقبيحاً لسوء فعالهم ومقامهم على ضلالهم مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ، ومذكرهم بأسه إن هم سلكوا سبيل من هلك من أسلافهم في معصيته فينالهم من

عقوبته ، ومُعرّفهم ما كان منه من تعطفه على التائب منهم ، مذكرهم نعمه عليهم أنّه خلق لهم ما في الأرض جميعاً ، مسخراً لهم ما في السماوات من شمسها وقمرها ونجومها ، وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم ولسائر بني آدم، فكان في قوله : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) الآية أي : اذكروا نعمتي عليكم إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً ، وخلقت لكم ما في الأرض جميعاً ، وسخرت لكم ما في السماء ثمّ جاء العطف مناسباً بقوله (وإذ قال ربك) والمعنى اذكروا تشريفي لأبيكم آدم إذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة[26].

(وإذ قال ربك للملائكة): ربك : من إضافة رب لنبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومخاطبته بالكاف تشريفاً من الله عز وجل له كونه (صلى الله عليه وسلم) المخاطب الأول بالقرآن الكريم[27] ، أما الملائكة فهم رسل الله وهم أجسام نورانية لطيفة لها القدرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات[28]، روي عن ابن عباس(رضي الله عنهما) أنه سبحانه إنما قال ذلك للملائكة الذين كانوا محاربين مع إبليس على الأرض لما أسكنها الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وأكثر الصحابة والتابعين قالوا أن المراد جماعة الملائكة من غير تخصيص ؛ لأن لفظ الملائكة يُفيد العموم ، حيث التخصيص خلاف الأصل[29] ، والهاء في الملائكة لتأنيث الجموع ، وقيل للمبالغة كعلامة ونسابة ، والأول أظهر[30] .

(إني جاعل في الأرض خليفة): ((**أي:** مستخلف في الأرض خليفة ومُصير فيها خلفاً))[31]، فإن قيل: ما وجه استخلاف خليفة، والخلافة إنما تكون نيابة عن الغير؟ أما لغيبته أو عجزه أو موته ، وذلك لا يجوز بحق الله تعالى، قيل: لا يراد بالخليفة هذا المعنى ، بل قد يستخلف المُستخلف غيره امتحاناً منه للخليفة أو تهذيباً له[32] ، وجاعل في الأرض خليفة أي: مصير فيها خليفة ، والخليفة من يخلف غيره ، ولرب قائل يقول: هلا قال خلائف أو خلفاء ؟ والجواب أنه أُريد بالخليفة آدم(عليه السلام) واستغنى بذكره عن ذكر بنيه[33] ، (في الأرض) : الظاهر أنه سبحانه أراد جميع الأرض من المشرق إلى المغرب ولم يرد أرضاً بعينها[34] ،

(قالوا أتجعل فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء): هذا القول من الملائكة جاء على لفظ الاستفهام ، ولكنه يُراد به الإيجاب[35] ، أو إنه تعالى أخبرهم أنه سيجعل في الأرض خليفة، فقالوا أتجعل فيها؟ أي ستفعل ما أخبرتنا به فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام[36] .

أُثرَ عن ابن عباس(رضي الله عنهما) قوله: أن الجن كانوا قد سكنوا الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى عليهم جمعاً من الملائكة قاتلوهم وألحقوا من بقي منهم بجزائر البحور ورؤوس الجبال، ثمّ اتخذ الله تعالى من آدم وذريته خليفة[37] ، لهذا قالت الملائكة (أتجعل فيها) ، وقيل : إن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجنّ وسفكهم الدماء فجاء قولهم (أتجعل فيها) على جهة الاستفهام المحض ، هل هذا الخليفة الموعود على طريق من تقدمه من الجنّ ؟ وقد علمنا أنهم لا يعلمون الغيب ولا يسبقون المولى عز وجل بالقول لأن قوله تعالى: ﴿ لا يسبِقُونه بالقولِ وهم بأمرهِ يعملون ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ، خرج مخرج المدح لهم ، فعلا هذا لا بُدّ أن يكون عندهم من إفساد هذا الخليفة نبأ ، وأنه سبحانه أعلمهم أنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يُفسد في الأرض ويسفك الدماء فقالوا مقالتهم هذه على طريق التعجب من استخلاف الله تعالى من يعصيه ، أو من عصيان من يستخلفه الله تعالى في أرضه ويُنعم عليه[38] .

(ونحن نسبح لك ونقدس لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون): أريد به لو استخلفتنا فنحن لم نزل نسبح بحمدك ونقدسك، ونقل عن ابن عباس(رضي الله عنهما) أن تسبيح الملائكة صلاتهم لله، وقيل : بل هو قولهم سبحان الله على ما هو معروف من اللغة ، (بحمدك) أي: نصل التسبيح بالحمد ، (ونقدس لك) أي: نطهر أنفسنا ابتغاء مرضاتك ، حيث التقديس التطهير بلا خلاف ، وقيل: معناه نعظمك ونطهر ذكرك عمّا لا يليق به[39] .

(قال إني أعلم ما لا تعلمون) : ((أي: أعلمُ من المصالح في ذلك ما لا تعلمون مما هو خفي عنكم))[40]، أو هو جواب لقول الملائكة (أتجعل فيها)، إذ لم تعلم الملائكة أن فيمن يُستخلف من بني آدم أنبياء وفضلاء وصالحين وأهل طاعة ، وأراد عز وجل أني أعلم أفعال الفضلاء من بني آدم ما لا علم لكم به[41] .

المطلب الثاني : لماذا أخبر الله تعالى الملائكة أنه متخذٌ خليفة .

لم يتعرض لهذا السؤال إلا قلة من المفسرين بحثاً عن الحكمة التي أرادها الله عز وجل من تعريف الملائكة واخبارهم بأنه سبحانه متخذٌ من آدم(عليه السلام) وذريته من بعده خليفة يستلم زمام الأرض ليقيم فيها شرع الله تعالى بصفته المكلف والأقدر على أداء هذه المهمة، ذكرنا أن قول الملائكة(أتجعل فيها من يُفسد فيها) لم يكن على وجه الاعتراض، ولكن على جهة الاستفهام ، وهذ أنسب لحال الملائكة كونهم معصومون ﴿ لا يعصونَ اللهَ ما أمرهم ويفعلونَ ما يُؤمرون ﴾ [التحريم من الآية : ٦] ، لذا يُمكن أن يُقال أن الحق سبحانه استخرج منهم ما استكن في أنفسهم وقلوبهم من استعظامهم واعجابهم بطاعتهم واعتدادهم بأفعالهم، وبهذا الخطاب أفصحوا عن مكنون نفوسهم وخفايا أسرارهم بقولهم : (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، ثم إن الحق عرّفهم أن الفضيلة بالعلم أتم من الفضيلة بالعمل، حيث كانوا أكثر عملاً ، وآدم كان أكثر علماً، فظهرت فضيلته وعلت مرتبته[42] .

وكذلك جاء في الكشاف : فإن قيل : لأي غرضٍ أخبرهم بذلك ؟ قلت : ليسألوا ذلك السؤال، ويجيبهم الله تعالى بأنهم لا يُدركون الحكمة من استخلاف آدم وذريته، ولا يعلمون إلا بالقدر الذي أُخبروا به، وقيل أيضاً: فيه تعليم لعباده المشاورة في صغير الأمر وكبيره وهو سبحانه غني عنها، وأن تُعرض المشاورة على الثقات والناصحين[43] .

ومنه: أنه سبحانه أراد استخراج ما فيهم من الطاعة ودوام تسبيحهم وتقديسهم له[44] ، ومنه أيضاً أنه سبحانه أراد اطلاعهم على ما في قلب إبليس من الكبر والعجب ، وأن يُظهر لهم ما سبق من علمه سبحانه[45] .

ومنه : ((وقول الله هذا موجه إلى الملائكة على وجه الإخبار ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني على وجهٍ يُزيل ما علمَ الله أنه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس))[46] .

والحاصل في هذه المسألة حصرها ابن الجوزي في تفسيره في ستة أقوال :

الأول : أن الله تعالى علمَ ما في نفس إبليس من الكبر، فأحبَّ أن يُطلع الملائكة عليه.

الثاني : أنه تعالى أراد أن يبلو طاعة الملائكة .

الثالث : أنه تعالى لما خلق النار خافت الملائكة فقالوا: ربنا لما خلقت هذه؟ قال لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم وهم لا يعلمون وجود خلق سواهم فقال لهم: (إني جاعل في الأرض خليفة) .

الرابع : أراد سبحانه إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه .

الخامس : أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده ؛ ليكونوا معظمين له .

السادس : أنه سبحانه أراد إعلامهم بأنه خلقهُ ليسكنه الأرض ، وإنْ كان ابتداء خلقه في السماء[47] .

هذا حاصل ما ذكره المفسرون في هذه المسألة ، وبما أنه لم يرد نصٌ قطعي في سبب أخبار الباري عز وجل الملائكة بخلق خليفة يباشر شؤون الأرض ، تبقى هذه الأقوال كلها تفسيرات وآراء مقبولة ، والظاهر من خطابه تعالى هذا للملائكة كان عند إتمام خلق آدم(عليه السلام) ونفخ الروح فيه [48]، وبالتالي يُمكن أن نرجح أن إعلام الله تعالى الملائكة بأنه متخذٌ في الأرض خليفة؛ لما للملائكة من شأن مع

هذا الخليفة ، فكما جاء في القرآن أن الملائكة هم رسل الله لقوله تعالى: ﴿ الحمدُ لله فاطر السماوات والأرض جاعِلِ الملائكةِ رسلاً ﴾[فاطر من الآية : ١]، ومنهم جبريل(عليه السلام) رسول الوحي إلى الأنبياء ، ومنهم الحفظة والكتبة﴿ وإنّ عليكم لحافظين ـ كراماً كاتبين ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١١] ، ومنهم ملك الموت ومعاونيه ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يُفرطون ﴾[الأنعام من الآية : ٦١] ، وغيرهم من الملائكة، الله تعالى أعلم بهم وبما كُلفوا به .

المطلب الثالث : كيف علمت الملائكة إفساد بني آدم .

للإجابة عن هذا السؤال ورد عن المفسرين وجوهاً عدة نستعرض أهمها :

الوجه الأول: أن الملائكة قالت ذلك بعد إعلام الله تعالى لهم بطبيعة ذرية بني آدم ، وأنهم يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء وهذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود (رضي الله عنهما) وطائفة من التابعين ، حيث ذكروا أن الله تعالى بعد أن أخبر الملائكة أنه متخذٌ في الأرض خليفة ، قالوا أي: الملائكة ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يُفسدون في الأرض ويتحاسدون بينهم، ويقتل بعضهم بعضاً[49]، فذلك قولهم (أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء) ، إذن فإن الله تعالى أخبرهم بشيء من العلم عن أحوال هذا الخليفة وذلك واضحٌ من قولهم[50] : (لا علم لنا إلا ما علمتنا) .

الوجه الثاني : أنهم أي الملائكة لما سمعوا لفظ الخليفة، فهموا أن هذا الخليفة تظهر منه المعصية والفساد، إذ المقصود من لفظه الإصلاح وترك الفساد، والفصل فيما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المآثم[51] .

الوجه الثالث : أن الملائكة قد رأت وعلمت من افساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك أن الأرض قد سكنها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله تعالى إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق الله آدم فأسكنه الأرض، وهذا مروي عن ابن مسعود وابن عباس(رضي الله عنهما) وعدد من التابعين[52] ، وبالتالي علمت الملائكة إفساد بني آدم بالقياس على ما كان من حال الجن، أي : قاسوا أحد الثقلين على الآخر[53] .

الوجه الرابع : أن الملائكة اطلعت على اللوح المحفوظ ، وبالتالي علمت ما هو كائنٌ من بني آدم من الإفساد في الأرض، وكلُ ذلك مسطرٌ في اللوح المحفوظ ، أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وكلُّ خلقٍ سواهم ليسوا على صفتهم [54] .

الوجه الخامس: أن الملائكة علمت من إفساد بني آدم في الأرض، وأنهم ظنوا هذا الظن به من حيث ما استشعروه من صفات هذا المخلوق بإدراكهم النوراني؛ وذلك من حيث هيئة تكوينه الجسدية، وصورة تركيبه قبل نفخ الروح فيه، وبمجرد مشاهدة الملائكة لهذا المخلوق الذي يُراد له أن يكون خليفة في الأرض كافٍ لإحاطتهم بما يشتمل عليه من عجائب الصفات على نحو ما ستظهر منه في الخارج؛ لأن مداركهم غايةً في السمو لسلامتها من المادة وكدرات المادة[55] .

هذه الوجوه الخمسة هي أشهر ما ذكره المفسرون في الاجابة عن هذا السؤال، وإن كان لبعضها من الوجاهة والقبول وخصوصاً الوجه الخامس، وهو استدلال لا يرفضه العقل، إلا أن أكثرها وأرجحها فيما أرى هو الوجه الأول، وهو أنه سبحانه وتعالى أخبر الملائكة ببعض صفات هذا الخليفة، والحكمة في ذلك ليعلم الملائكة سعة علمه عز وجل، وأنهم لا يحيطوا بعلمه إلا بالقدر الذي أراده جل وعلا، وأنه سبحانه حينما أراد أن يجعل آدم وذريته خليفة كانت إرادته عن علمٍ بأنه أهلٌ للخلافة؛ بما وهبه من قدرات وعلم لأداء ما كُلفَ به ، وأن للعلم فضيلة كبيرة تسمو على غيرها من الصفات التي تتمتع بها الملائكة وغيرها من المخلوقات وإن صدرت عنهم المعاصي، وفي هذا يقول القشيري في تفسيره : ((يُقال: إنْ أسعدتكم عصمتي فلقد أدركتهم رحمتي))[56] .

الخاتمة وأهم الاستنتاجات :

بعد هذا التطواف في كتب التفسير وغيرها والبحث في دلالات كلام الله تعالى المبرأ عن العيب والنقص، أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث ولا أدعي العلم، وإنما أساله تعالى الاخلاص في العمل الذي أرجو فيه وجهه الكريم ورضاه، حيث أني لم آلو جهداً في الاطلاع على أغلب ما ذكره المفسرون في بيان الآية الكريمة موضوع البحث واختيار الأنسب منها مع الايجاز دون الاخلال بالمعنى قدر الامكان، وأحمد الله تعالى في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أما أهم الاستنتاجات والدلالات فأجملها فيما يأتي:

1 ـ هذا الحوار الكريم بين الله تعالى وملائكته هو من أنباء الغيب الذي قصه علينا في كتابه؛ ولذا فهذه الآية الكريمة تؤصل لأساس من أسس العقيدة التي يجب الإيمان بها، وكذلك فإن من صفات المتقين الإيمان بالغيب كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ألم ـ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين ـ الذين يؤمنون بالغيب ويُقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون ﴾ [البقرة: ١ – ٣] .
2 ـ كذلك يجب الإيمان بالملائكة وكونهم رسل الله تعالى، وأنهم خلقٌ مجبولون على الطاعة، وقد ذُكر منهم في القرآن جبريل وميكائيل وحملة العرش وغيرهم، وكلٌّ منهم له مهام يقوم بها.
3ـ هذه الآية الكريمة تعرض قصة البشرية الأولى، قصة الإستخلاف، وأن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أن يُسلم هذا المخلوق وهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض .

4 ـ يُراد بالخليفة بحق آدم(عليه السلام) المستخلف من قبل الله عز وجل ، أما ما يتناسب وذريته أي: الذين يخلف بعضهم بعضاً.

5 ـ في الآية الكريمة دلالة على حاجة البشر لإقامة خليفة ليفصل بين الناس فيما يعرض لهم من منازعات؛ إذ لا يستقيم نظام البشر بدون ذلك، وقد بعث الله تعالى الرسل وبيّن الشرائع، وربما اجتمعت الرسالة والخلافة وربما تفرقتا وفقَ إرادته جل وعلا، حتى جاء الإسلام فجمعت الرسالة والخلافة، والمراد بالخلافة أو الإستخلاف هو السير على مراد الله تعالى ومنهجه .

6 ـ في الآية الكريمة دلالة على أن اصلاح الأرض واصلاح العالم مقصدٌ من مقاصد الشرع، وهو الأصل من اتخاذ آدم وذريته خليفة في هذه الأرض، وأن الفساد عارضٌ ولا يرتضيه عز وجل من عباده قال تعالى: آ ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسدَ فيها ويُهلك الحرث والنسل واللهُ لا يُحبُ الفساد ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، وقال تعالى: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تُفسدوا في الأرض وتُقطعوا أرحامكم ﴾ [محمد: ٢٢] .
7 ـ ومن الحكم التي تدل عليها الآية الكريمة هي سعة علم الله تعالى، وسعة علمه سبحانه تُحيط بما لم يحطْ به أحدٌ من خلقه، ولا حتى الملائكة إلا بالقدر الذي يُريده ويشاءه سبحانه ، وحينما أراد أن يجعل آدم (عليه السلام) ومن بعده ذريته للقيام بشؤون الأرض بوصف الخلافة، كانت إرادته جل وعلا عن علم بأنه أهلٌ للخلافة .
8 ـ صُدرتْ الآية الكريمة بكاف الخطاب الذي يعود على رسولنا الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم) فيه دلالة على عموم رسالته(صلى الله عليه وسلم) وهو أيضاً أفضل أنبيائه ورسله ، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم وأن الخلافة تكون فيها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
9 ـ في الآية الكريمة دلالة على فضيلة العلم، وأنه سبحانه أخبر الملائكة ببعض صفات هذا الخليفة، أما قول الملائكة﴿ أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ﴾: فهو مما أُخبروا به؛ وبذا يكون الاستفهام على سبيل التعجب، واستعلام عن الحكمة، وهو أيضاً من عطف الخاص على العام؛ لبيان فضاعة هذا الفعل، وشدة مفسدة القتل .

الهوامش :

1- يُنظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 223 – 240 .
2 – يُنظر : البحر المحيط 224.
3 – يُنظر : في ظلال القرآن: 28/1 .
4 – يُنظر : المصدر نفسه : 1/ 54 – 59 .
5 – الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 174/1 .
6 – المفصل في صنعة الإعراب: 213 .
7 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 116/1 .
8 - شرح (قواعد الاعراب لابن هشام) : 90 .
9– تاج العروس من جواهر القاموس: 50/27 –51 باب (أ ل ك).
10 – المصدر نفسه : 27/ 354 باب (م ل ك) .
11– لسان العرب : 10/ 496 باب (م ل ك) .
12 – المحكم والمحيط الأعظم : 197/5 باب الخاء واللام والفاء .
13 – القاموس المحيط : 808/1 باب الفاء فصل الخاء .
14 – لسان العرب : 9/ 84 باب الفاء فصل الخاء .
15 – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : 1590/4 باب (سكك) .
16 - المصدر نفسه : 372/1 باب (سبح) .
17 - معجم مقاييس اللغة : 125/3 باب (سبح) .
18 – تهذيب اللغة : 303/8 باب (القاف والسين) .
19 – جامع البيان في تأويل آي القرآن : 448/1 .
20 – يُنظر : النكت والعيون : 95/1 .
21 – يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 102/1 .
22 – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 124/1 .
23 – هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن اليسار البصري(ت : 110 هـ) ، أحد سادات التابعين وكبرائهم ، وعُرف بعلمه وزهده وورعه وعبادته ، قال عنه أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، يُنظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : 2/ 69 – 73 .
24 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 117/1 .
25 – يُنظر: مفاتيح الغيب : 389/2 .
26 - يُنظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن 442/1 - 443 .
27 – يُنظر : المحرر الوجز في تفسير الكتاب العزيز : 116/1 .
28 – ُنظر : مفاتيح الغيب : 284/2 ، وكتاب التعريفات : 229 .
29 – يُنظر : مفاتيح الغيب 288/2 .
30 – يُنظر : المحرر الوجز في تفسير الكتاب العزيز : 116/1 .
31 – جامع البيان في تأويل آي القرآن : 448/1 .
32 – يُنظر: تفسير الراغب الأصفهاني : 1/ 140 .
33 – يُنظر الكشاف : 124/1 ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: 78/1 .
34 – يُنظر : مفاتيح الغيب : 391/2 .
35 – يُنظر: مجاز القرآن : 78/1 ، ومعاني القرآن وإعرابه : 4/ 329 .
36 – يُنظر : مفاتح الغيب : 391/2 .
37 – يُنظر : المحرر الوجز في تفسير الكتاب العزيز : 117/1 .
38 - يُنظر : المصدر نفسه : 1/ 117 .
39 – يُنظر : المصدر نفسه : 188/1 .
40– الكشاف : 1/ 125 .
41 – يُنظر : المصدر السابق : 118/1 .
42 - يُنظر : لطائف الإشارات : 75/1 .
43 - يُنظر : الكشاف : 124/1 ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: 78/1 .

44 ـ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن: 263/1 .
45 ـ يُنظر : البحر المحيط : 227/1 .
46 ـ التحرير والتنوير : 117/1 .
47 ـ زاد المسير في علم التفسير : 50/1 .
48 ـ يُنظر : التحرير والتنوير : 400/1 .
49 ـ يُنظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 117/1، و زاد المسير : 50/1 ، ومفاتيح الغيب: 392/2 الجامع لأحكام القرآن : 275/1 ، وتفسير القرآن العظيم : 126/1 .
50 ـ يُنظر : تفسير الراغب الأصفهاني : 140/1 .
51 ـ يُنظر : مفاتيح الغيب : 392/2 ، الجامع لأحكام القرآن : 274/1 .
52 ـ يُنظر : زاد المسير : 50/1 ، والجامع لأحكام القرآن: 275/1 ، وتفسير القرآن العظيم: 126/1 .
53 ـ يُنظر : النكت والعيون: 96/1، والكشاف :124/1، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 117/1 .
54 ـ يُنظر: الكشاف : 125/1
55 ـ يُنظر : التحرير والتنوير : 402/1 .
56 ـ لطائف الإشارات : 76/1 .

المصادر:

القرآن الكريم .
1 ـ البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: 745هـ)،تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة/ 1420 هـ .
2 ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، (دـ ـ ت) .
3 ـ التحرير والتنوير : أحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)
الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 ه .
4 ـ تفسير الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، ط1 - 1999 م .
5 ـ تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت: 370 هـ) ، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط1 ـ 2001 م
6 ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 - 2000 م .
7 ـ الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ) ، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، ط2 ـ 1964 م.
8 ـ زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597 هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط1 ـ 1422 ه .
9 ـ شرح (قواعد الاعراب لابن هشام) : محمد بم مصطفى القوجوي الشهير بشيخ زادة (ت : 951 هـ) ، تح : سماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ط1 ـ 1995 م .
10 ـ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393 هـ) ، تح: أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلمين للملايين ـ بيروت ، ط4 ـ 1987 م .
11 ـ في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1966 م)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17 - 1412 هـ .
12 ـ القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ) ، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط8 - 2005 م .
13 ـ كتاب التعريفات : علي بن محمد بن عل الزن الشرف الجرجاني (ت: 816 هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط1 ـ 1983 م .
14 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط3 - 1407 هـ .
15 ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت:427هـ)،تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1 - 2002 م .
16 ـ لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط3 - 1414 هـ .

17 ـ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1422 هـ .
18 ـ المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] ،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 2000 م .
19 ـ مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: 209 هـ) ، تح: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ط ـ 1381 هـ .
20 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ) ، تح: يوسف علي بديوي ،دار الكلم الطيب، بيروت، ط1 - 1998 م .
21 ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510 هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط1 ـ 1420 هـ .
22 ـ معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج (ت: 311 هـ) ، تح : عبد الجليل عبدة شلبي ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط1 ـ 1988 م .
23 ـ معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت : 395 هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ـ 1979 م .
24 ـ مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط3 - 1420 هـ .
25 ـ المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري (ت:: 538 هـ) ، د. علي أبو ملحم ، مكتبة الهلال ـ بيروت ، ط1 - 1993 م .
26 ـ لطائف الإشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (ط3 ـ د.ت) .
27 ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ات: 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
28 ـ النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت .
29 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: 681 هـ) ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ـ بيروت (د.ت) .